ثقافة

نصوص تلموديّة تشرّع المجازر والإبادة "إسرائيل الكبرى" خرافة تدحضها الدراسات التاريخيّة

يستند رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو على نصوص توراتية لمواصلة حربه من جهة ولتأجيج المشاعر الدينية في الداخل الاسرائيلي من جهة ثانية. استدعى اكثر من مرة "نبوءة اشعياء" وقال: "نحن ابناء النور بينما هم ابناء الظلام، وسينتصر النور على الظلام... وسنحقق النبوءة، لن تسمعوا بعد الان عن الخراب في ارضكم، سنكون سببا في تكريم شعبكم، سنقاتل معا وسنحقق النصر"

ما يجري اليوم هو جزء من مشروع ايديولوجي عميق يرتكز على خرافات "اسرائيل الكبرى" المزعومة، ويسعى الى فرض واقع جديد على الارض. "الامن العام" اجرت حوارا مع استاذ التاريخ في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية الدكتور مروان ابي فاضل.

■ ما هي التلمودية؟

□ التلمود كلمة عبرانية تعني التدريس او التعليم اي تعليم ما ورد في التوراة والعهد القديم عموما. وهو وسيلة لايصال افكار التوراة سواء الاخبار التاريخية بالتوراة او المعاني الدينية او المواعظ الاخلاقية الى المؤمنين اليهود. ايضا "المدراش" الذي من اهدافه ايصال اخبار التوراة ومواعظه والابعاد الايمانية في التوراة للمتدينين اليهود. هناك نوعان من التلمود: التلمود الاورشليمي او تلمود بني اسرائيل، ويعتقدون انه تم تدوينه في ارض اسرائيل او في اورشليم او بمحيطها في قيسارية او غيرها، وقد دوّن مبدئيا بين القرن الثالث والرابع الميلادي. التلمود هو عبارة عن دراسات تعطى شفهيا للمؤمنين اليهود. نحن نعلم انه في عام 70 ميلادي تم تهجير اليهود من فلسطين ومحيطها بعد غزو تيتوس الروماني وقد حصلت فوضى في اوساط الطائفة اليهودية، فكان لا بد من تدوين هذه الدراسات والتعاليم الشفهية. وهناك تلمود آخر هو التلمود البابلي الذي دون في بابل في حدود القرن الخامس الميلادي.

■ ماذا يتضمن الشق المتعلق بالارض وغيرها من الامور التي تؤثر على سياسة اليهود في المنطقة؟

□ قلنا ان التلمود يفسر ما ورد في التوراة حيث ان هناك اشارات الى ارض اسرائيل، لكن هنا يجب الانتباه الى امر اساسي وهو انه في التوراة اشارة الى ان "ارضك اسرائيل" ضمن الاراضي الفلسطينية اي من غزة الى دان في شمال فلسطين. هناك نص آخر "ارضك اسرائيل" من الفرات الى نهر مصر، والمقصود بنهر مصر ليس نهر النيل بمعنى اعتبار بعض المؤرخين والجيولوجيين ان هناك نهرا يجري في سيناء اي نهر مصر. اذا عدنا الى التوراة، نجد انه لم تكن ارض اسرائيل في اي وقت ارضا ثابتة ومستقرة. هذا يعيدنا الى جذور الدخول العبراني الى فلسطين. وينسى كثيرون انه لدى دراسة جغرافية شعب معين، من الضروري العودة الى المصادر التاريخية حيث لا وجود لدولة يهودية امتدت على كامل ارض فلسطين ابدا ولم تمتد يوما ارضهم من الفرات الى نهر مصر وبالتالي ان هذا الحلم الذي راود العبرانيين دائما ولا يزال هو حلم خرافي لم يطبق ولا يمكن تطبيقه. المصدر الوحيد للصهاينة باقامة دولتهم ليس التلمود بل التوراة. ما ورد في التلمود فيه قساوة ودعوة الى من يريد تحقيق مصلحة الشعب اليهودي ان يقوم بذلك ولو على حساب غيره من الناس. في التلمود اشارات الى ضرورة سيطرة الشعب اليهودي على غيره وتركيز على ان اليهود هم شعب الله المختار،

استاذ التاريخ في كلية الاداب في الجامعة اللبنانية الدكتور مروان ابي فاضل.

> **لم تكن في التوراة ارض اسرائيل في اي وقت من الاوقات ثابتة ومستقرة**

وبالتالي يكفي ان يسيطر هذان المبدآن على عقليتهم ووجدانهم ليبرروا السيطرة والتوسع من دون الاخذ في الاعتبار مصلحة الاخرين وحقوقهم. هذه الافكار مدونة ايضا في التوراة، حيث فكرة التفوق والابادة الجماعية وتم تفسيرها ايضا في التلمود. هنا اعطي مثلا، عندما دخل يشوع بن نون الى بلاد كنعان كما سموها، هم يقولون انه اباد ممالك وقتل شعوب وسيطر والى اخره، كما ان نتنياهو قد ارتكز مؤخرا على نصوص توراتية تبرر القتل وابادة الاعداء. كلها نصوص مأخوذة من التوراة او من التلمود، وفي هذا المعنى لا يكون التلمود كتابا وعظيا او كتاب صلاة او كتاب يحدد الصوم وغيره بل هو كتاب يحث الشعب اليهودي على محاربة اعدائه ومحاولة ابادتهم اذا اضطر لذلك.

■ لماذا يعتقدون انهم يستطيعون السيطرة على كل تلك الدول؟

□ ان بدايات التوسع العسكري في التوراة كانت مع يشوع بن نون. وتقول الرواية التوراتية انه كان مع موسى عندما غادر مصر وضاعا في الصحراء 40 سنة ولاحقا دخلا بالقوة الى ارض كنعان. اذا تتبعنا سفر يشوع بن نون يتبين انه سفر عسكري بامتياز، فيه دعوة الهية الى تدمير هذه المدينة او تلك مثلا دمر اريحا، اقتل وقم بابادة اعدائك والى آخره.

لكن في الواقع العلمي، لم يتبين لأي من المؤرخين وجود شخصية اسمها يشوع بن نون. اكثر من ذلك، لم يتبين انه حصل اي غزو كبير من مصر الى ارض كنعان في حدود 1180 او 1100 قبل الميلاد. لقد قلت هذا التاريخ لأنهم يعتبرون انه تقريبا بين 1200 و1100 حصل الغزو الكبير لليهود وكل ذلك غير موجود، ما دفعنا الى القول ان ما ورد في التوراة وتفسيراته في التلمود من الناحية التاريخية غير دقيق وغير علمي وليس صحيحا. سمعنا بعد يشوع بن نون عن الملوك منهم داود وسليمان الذي قيل عنه انه اقام مملكة عظيمة ولكن التاريخ يؤكد ايضا ان سليمان لم يؤسس مملكة عظمى كما كانوا يقولون وانها تميزت بالازدهار الاقتصادي، واقامت علاقات مع ملك صور احيرام. حتى ان بعض النظريات والمؤرخين ومنهم إسرائيليون، يؤكدون ان ليس هناك ◄

المقال

العقيدة... بالعقيدة

"من المستحيل على البشر ان يعيشوا في سلام"، هو انطباع عام يحمله القارئ لأي كتاب عن تاريخ العالم. السؤال المطروح: لم يصعب على هذا الكائن البشري ان يعيش في سلام؟ وهل هناك ما يمكن ان يفسر كل هذا العنف؟

الميل البشري الى العنف، كان ولا يزال موضوع دراسات مكثفة تقاطعت على انه لا يأتي من فراغ. فجميع تصرفات الانسان تنبع من محركات داخلية تشعلها عوامل خارجية كالبيئة، الظروف الاجتماعية وسواها. ان سلوك العنف قد ينفجر كترجمة لشعور الخوف او الاحساس بالظلم والدونية. وهذا الشعور يعتبر كافيا لاستخدام الانسان جميع وسائل العنف لاثبات ذاته.

تعتبر العقيدة من ابرز العوامل لتنمية النزعة العنفية. فمن يخدم قضية ما، دينية كانت ام وطنية، يكتسب قوته من العقيدة التي ترسخت في ذهنه بفعل انتمائه الى مجموعة معينة يتكتل ضمنها اشخاص يشتركون في الرؤية نفسها ويشعرون ضمنها بالحماية والامن، فينمو كره الآخر، وتزداد الرغبة في ممارسة العنف.

تشكل الحرب العقائدية احد اشكال الصراع بين طرفين خاصة عندما يتبنى كل منهما عقيدة او ايديولوجية مختلفة. انها حرب عاطفية تجمع الاتباع عبر قصص يختلط فيها الحق بالباطل والماضي بالحاضر، يتسلح بها المحاربون دفاعا عن عقيدتهم.

هذا الامر ينطبق على "بني اسرائيل" وعقيدتهم الفوقية التي يفسرونها من باب ديني، حيث يرى اليهود تفوقهم على الآخرين. وبغض النظر عن صحة هذه النظرة من عدمها، فان لهذه العقيدة السياسية دورا وظيفيا يضمن استمرار دولتهم، من خلال بناء الثقة الشعبية في تحصيل "حقوق" افرادها والانتقام ممن يؤذونهم مهما طال الزمن او بعدت المسافة.

وهم لطالما اداروا المعركة باسم الدين، وباسم التوراة، وباسم التلمود، ويعمدون الى التوظيف السياسي للخرافات الدينية التى تلهب مشاعر اليهود والقوى الصهيونية فى العالم، ويتنادون الى ارض الميعاد، حتى حقق لهم هذا "وعد بلفور". وكانت النكبة وتهجير الفلسطينيين اصحاب الارض خارج بلدهم.

سئل بن غوريون مرة "اين هي حدود اسرائيل؟". اجاب بأن "حدودها حيث يصل حذاء الجندي الاسرائيلي الاخير". سئل شمعون بيريز عشية التوقيع على اتفاقية اوسلو: "ما هي حدود اسرائيل؟". اجاب بأن "هناك ثلاثة انواع من الحدود، هي: حدود جغرافية - سياسية سيتم الاتفاق عليها في المستقبل، حدود امنية تصل الى مياه الخليج وبحر العرب وباب المندب، وحدود اقتصادية اوسع من ذلك بكثير". تصريحان كافيان وحدهما للاشارة الى الطبيعة الاستعمارية التوسعية والعدوانية لاسرائيل.

اذا اصر اليهود على التمسك بمعتقداتهم، فانهم سيواجهون بأكثر من "طوفان الاقصى"، من الآخر الذي يعتبر، وفق عقيدته، ان في الاصل لا وجود لهذه الدولة على هذه البقعة من الأرض، مؤكدا على حقه في الدفاع عن ارضه وعن عقيدته في وجه عدو لا يتوانى عن ارتكاب كل انواع الاجرام لتحقيق اهداف عقيدته.

العقيدة بالعقيدة... والعنف يدوم.

ميرنا الشدياق

◄ من شخصية اسمها سليمان وقد ابتدعها كتاب التوراة والتلمود.

■ على اي مصادر ارتكزت حتى تؤكد كل هذه الحقائق؟

□ على ما ورد في المصادر التاريخية التي تقول مثلا انه كان هناك امبراطورية كبرى بدءا من القرن التاسع قبل الميلاد وهي الامبراطورية الاشورية التي اتت من العراق وسيطرت على مناطق في سوريا ولبنان وفلسطين ووصلت الى مصر. لم يتبين وجود ممالك عظمى بل كان هناك جماعات عبرانية في فلسطين، الا انها لم تكن بالقوة التي تحدثوا عنها في التوراة او خارجه. ان المعلومات التاريخية تناقض ما ورد في النصوص التوراتية من الناحية التاريخية. لكن السؤال الذي يطرح، لماذا علينا درس التوراة والتلمود؟ الجواب واضح لأن الحركة الصهيونية عندما ارادت بناء دولة في فلسطين عادت الى هذه النصوص لتبرير اقامة دولتها، لذلك اعيد الاعتبار الى كل هذه الاسئلة والمواضيع.

■ عندما ارادت الحركة الصهيونية اقامة دولتها انطلاقا من التوراة لماذا لم تنطلق الدول من هذه المصادر التاريخية لتمنعها؟

□ بسبب خطأ في الاستراتيجيا ولا يزال مستمرا حتى اليوم. كان هناك كتب ومؤرخون ودراسات تناقض كل ذلك الا ان الدولة كانت قد قامت. ان وعي النخب العربية للخطر اليهودي تأخر الى القرن العشرين، في المقابل خطط اليهود لاقامة دولتهم منذ القرون السابقة. في عام 1840 تحدثت المخابرات الفرنسية عن مشروع انكليزي للشرق الذي كان تابعا للدولة العثمانية يقوم على تقسيم لبنان الى كانتونات، يحكم كل كانتون من الطائفة الاكثر عددا، واقامة مملكة إسرائيل. المسألة اليهودية قبل ان تكون مسألة شرقية هي بالاساس اوروبية، لأن الاوروبيين ارادوا التخلص من غيتوات اليهود التي كانت موجودة على ارضهم فكانت فكرة اقامة دولة لليهود خارج اوروبا. وطرحت خيارات عديدة لاقامة هذه الدولة خارج فلسطين، مثلا مشروع اقامة دولة في الارجنتين ومشروع آخر في اوغندا، الا ان المفكرين اليهود سألوا على اي اساس سنقيم دولة في افريقيا او اميركا اللاتينية، ولماذا لا نعود الى التوراة والتلمود الذي تحدث عن اقامة دولة في فلسطين حيث كان لهم وجود. على

> **التلمود يحض الشعب اليهودي على محاربة اعدائه ومحاولة ابادتهم اذا اضطر الى ذلك**

هذا الاساس اعادوا صياغة كتاب تاريخ المنطقة، وركزوا على ارسال بعثات علمية وتاريخية لعلهم يكتشفون تاريخهم من جديد. اما نحن فلم نهتم بالتاريخ ولا بالحراك الدولي ولا بتاريخ المنطقة، ولا يزال ذلك موجودا حتى اليوم. ان الصراع لا يجب ان يكون فقط بالسلاح ولا بالحرب، بل يجب ان يبدأ بالعلم والثقافة، ومن ثم بالسلاح والحرب في المرحلة الاخيرة. اليهود ابدوا اهتماما من مئات السنين بهذا الموضوع، وارسلوا البعثات التاريخية العلمية الثقافية الى المنطقة للبحث في امكان تهجير الناس واقامة مستوطنات، واستطاعوا النجاح في بداية القرن العشرين واعلن عن ذلك رسميا في عام 1948 مع دولة اسرائيل.

■ ما هو الرابط بين الشرق الاوسط الجديد الذي تحدث عنه نتنياهو والتوراة والتلمودية؟

□ اعادة رسم الشرق الاوسط الجديد يتم عبر قوة النظام العالمي الذي تسيطر عليه اميركا، وليس بحسب رغبة عدد من رجال الدين اليهود او الحركة الصهيونية او نتنياهو. في بداية القرن العشرين وضع المؤرخ اليهودي برنارد لويس مشروعا لتقسيم المنطقة الى كيانات طائفية، معتبرا ان فكرة الدولة التي نشأت بعد انسحاب العثمانيين من الشرق لم تكن مجدية وبالتالي يجب اعادة تكوين الدول التي نشات على اسس مذهبية، فمثلا العراق تقسم الى ثلاث دول: اكراد وسنة وشيعة. في سوريا طوائف عديدة، فتقام دول عديدة وفقا لعدد الطوائف الموجودة فيها، والمنطق نفسه في لبنان مع تقسيمه الى كيانات طائفية. الشرق الاوسط الجديد يتوافق مع هذه النظرية التي تقول ان الدولة الامة القائمة حاليا غير منطقية، ولا يمكن ان تدوم والبديل منها دول طائفية. تكمن اهمية المشروع بالنسبة الى اليهود في تأسيس دول قائمة على المذهبية والطائفية في الشرق الاوسط، على ان يصبح قيام دولة يهودية امرا طبيعيا. علما انهم بدأوا في العام 2001 بالحديث عنها، وقد ردد ذلك نتنياهو: ان اسرائيل دولة يهودية وهو لم يقل ذلك بالصدفة.

■ هل يمكن ان ينجح هذا المشروع؟

□ لا يمكننا ان نعلم، فما يجري في الدول اليوم يؤكد ان الدول التي قامت بعد الحرب العالمية الاولى اي العراق، لبنان، سوريا وفلسطين هي دول غير مستقرة على الاطلاق وهناك من يقول في داخلها ان الانظمة التي وضعت بعد الحرب الاولى من الصعب ان تستمر. نحن امام خيارين، اما تطوير الانظمة في هذه الدول لتبقى قائمة، والا اذا لم يتم تطويرها لتستوعب كل الناس الذين يعيشون فيها، قد تكون المنطقة متجهة الى تقسيم جديد، اي نحن امام ازمات وحروب طويلة. الامر المؤسف الاخر هو اننا في القرن 21 وطابع الحروب هو طابع ديني. اليهود يستندون الى التوراة والتلمود في مشاريعهم السياسية، والخوف الاكبر هو في مواجهة هذا المشروع الديني بمشروع ديني آخر. وكما يقول نيتشه: "كن حريصا وانت تصارع الوحوش كي لا تصبح واحدا منهم". اذا استمررنا في مشروع ديني خرافي طائفي في مواجهة مشروع ديني خرافي آخر ستكون النتيجة مدمرة لكل المنطقة، وستكون مدمرة اكثر لعدو الصهاينة الذين قاموا بالتحضير منذ زمن، وقد حددوا اهدافهم في حين ان المشاريع الدينية المقابلة لم تقم بالتحضير كما يجب.

■ لماذا عاد الاسرائيلي بقوة في هذه الحرب الى التوراة؟

□ بشكل اساس ان الحروب في الشرق الاوسط هي حروب دينية وحروب الهية، وهذا امر مرعب وكاننا نعيش في القرون الوسطى في زمن حروب الافرنج الصليبيين، لذلك لا نستغرب دخول الدين في كل شيء. لكل الحروب في العالم خلفية فكرية وثقافية. الحروب التي حصلت في اوروبا في القرن التاسع عشر، في الحرب الاولى والثانية، واليوم في الحرب الأوكرانية - الروسية يحرك المقاتلون فيها البعد الوطني، اي ان الاوكراني يريد الدفاع عن اوكرانيا وتاريخها وتاريخ كييف والى اخره، والروسي يريد الدفاع عن عظمة الامة الروسية.

م. ش.

عامًا
تصميم . إنجاز . مثابرة